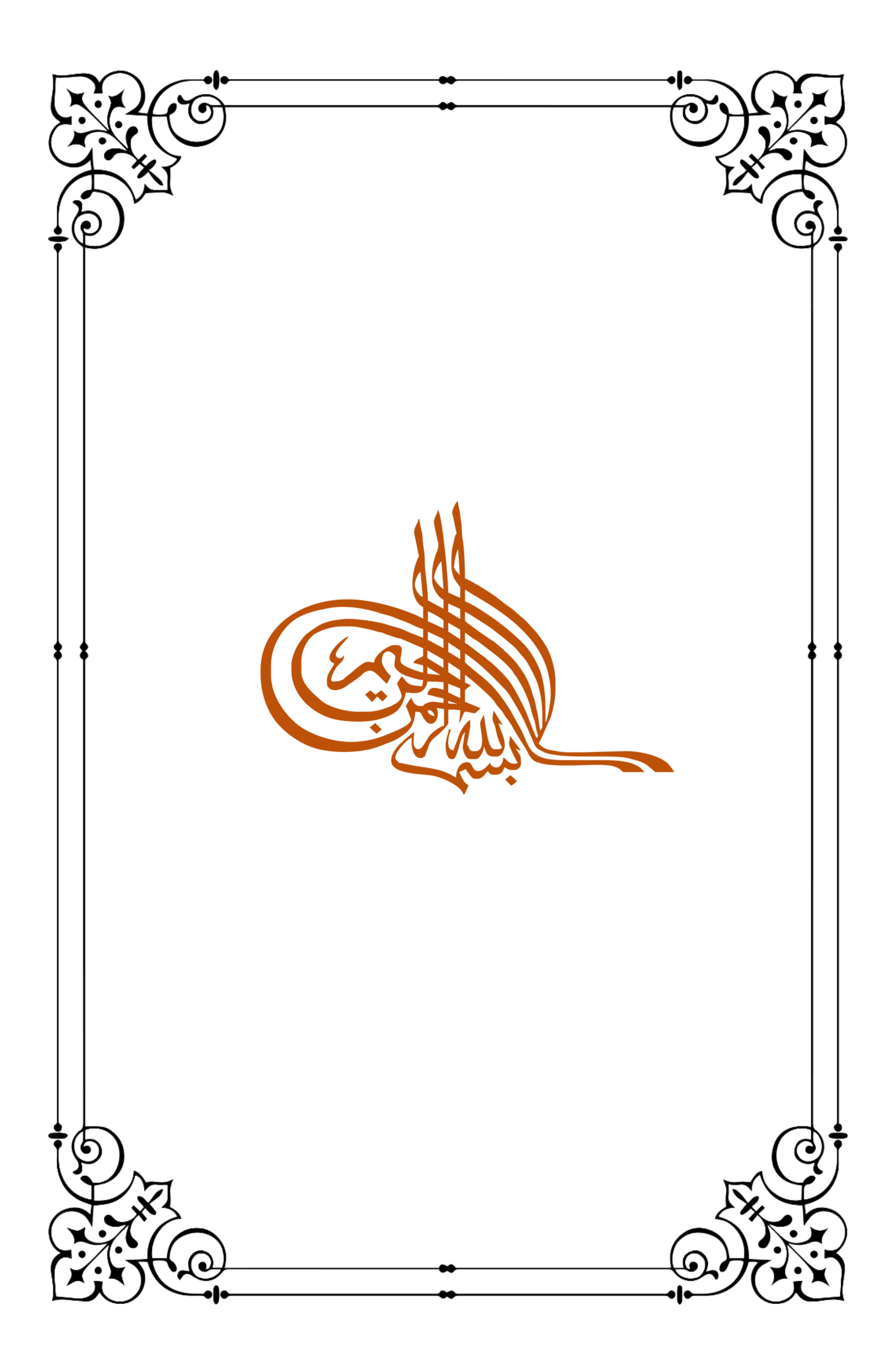
وبشر الصابرين

الصَّبرُ عَلَى البَلاءِ

أ. هيفاء بنت عبدالله الرشيد


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

يسعى الإنسان للبحث عن السعادة في هذه الحياة، وتكون السعادة هدفاً رئيسياً له، وتتفاوت هذه السعادة بين شخص وآخر، فمنهم من يعتقدها موجودة في المال، وبعضهم في المناصب والجاهات، وبعضهم في نيل الشهادات العليا، وغير ذلك، وهذه الأمور إنما تجلب سعادة وهمية لا حقيقة لها.

والحقيقة أن من يبحث عن السعادة في هذه الحياة فكأنما يبحث عن طعام نظيف في سلة مهملات، لأن الحياة هذه ما هي إلا فترة نعيش فيها حتى نصل للآخرة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فالحياة بطبيعتها لا تخلو أبداً من الهم والكرب والشدة، والعاقل هو الذي يعرف أنها جبِلَت على ذلك، وأنه لا راحة إلا في الجنة، فلا ينبغي أبداً أن نتصور أننا نعيش في هذه الدنيا في سعادة لا تنقطع وصحة دائمة، وأموال لا تفنى ولا تزول.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"لِكُلِّ فَرْحَةٍ تَرْحٌ، وَمَا مِنْ بَيْتٍ مُلِئَ فَرَحًا إِلَّا مُلِئَ تَرَحًا"**(١).

فالسعادة لا تدوم، والشقاء لا يدوم كذلك، ولكن النعيم في الجنة هو الذي يدوم؛ لأن الذي وعد بذلك هو الحي القيوم الذي إذا قال للشيء كن فإنه يكون.

فالناس تجاه البلاء على صنفين: فمنهم من سيفهم حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ابتلاءه فيهون عليه الأمر، ومنهم من سيجزع ويتسخَّط فيزداد الأمر سوءاً عليه.

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كتب على عباده المؤمنين جميعاً الابتلاء في هذه الحياة الدنيا، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥].

فالله عَزَّوَجَلَّ بحكمته البالغة، قد جعل هذه الحياة الدنيا داراً للابتلاء والامتحان، وموطناً للأكدار والأحزان، لا يدوم لأحد فيها هناء، ولا يستمر له فيها سرور، فإن رأى السرور منها يوماً، فإنه يرى منها السوء أياماً، وإن أقبلت إليه، فسرعان ما تدبر عنه، والأيام دول، فيوم لنا، ويوم علينا، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:١٤٠].

وإن من دلائل صدق إيمان العبد أن هذه المصائب والابتلاءات لا تزيده إلا ثقة بالله ويقيناً؛ لعلمه أن قضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واقع، وأن ما شاء الله كائن لا محالة، فيحمله ذلك على التحلي بالصبر، فإن الصبر من أعظم مقامات الدين، وهو زاد المؤمنين، وعماد المتقين، ونهج الصالحين، وملاذ الخائفين.

---

(١) الاعتبار وأعقاب السرور لابن أبي الدنيا (صـ٢٩).

وإنَّ سنة الله في خلقه ألا يسلم أحد في هذه الحياة من مصائب تؤلمه وتحزنه، وتكدر عليه سروره، وتعكر عليه صفو حياته، من أمراض مستديمة، أو فقد لحبيب وقريب، أو خسارة في تجارة، أو إخفاق في عمل أو دراسة، وغير ذلك من حوادث الأيام التي لا يسلم منها أي إنسان، فيظل بسبب ذلك يعاني آلاماً وأحزاناً.

والمرء بحكم بشريته وطبعه ملول عجول، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧]، يستعجل الأمور ويضجر، ويود أن يبقى سليماً معافى، دون بلاء أو مصيبة، وذلك لا يمكن في دار البلاء، وكيف يسلم ولم يسلم من ذلك أنبياء الله ورسله، وصفوته من خلقه؟! فلقد أصابهم من البلاء، وحلَّ بهم من البأساء والضراء، ما لا يقدر على تحمله سواهم من البشر، ففي الحديث عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلْتُ: يا رَسولَ الله، أَيُّ النَّاس أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاء، ثُمَّ الْأَمْثَل فَالْأَمْثَل، حَتَّى يبتَلَى الرَّجُل عَلَى قَدْرِ دِينه، فَإِنْ كَانَ صُلْبَ الدِّين اشْتَدَّ بَلَاؤُه، وَإِنْ كَانَ فِي دِينه رِقَّةٌ ابْتُلِي عَلَى حَسَب ذَلِكَ -أَوْ قَدْرِ ذَلِكَ- فَما يَبْرَحُ الْبَلَاء بِالْعَبْد حَتَّى يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وما عَلَيْه من خَطِيئَة**»[(١)].

والواجب على المؤمن أن يتعامل مع الابتلاءات -بجميع أنواعها- بالصبر، لعلمه بأن ما قدر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه واقع لا محالة، لأنه مما جرى به القلم، فيرضى ويسلم، حتى يورثه ذلك طمأنينة في القلب، وسكينة في النفس، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

وإن مما يسلي المؤمن عند اشتداد البلاء، ويهون عليه مرارة المصيبة، تذكُّره لعواقب الصبر الحميدة في هذه الحياة، وما أعد الله للصابرين في الآخرة من عظيم الجزاء لهو خير وأبقى.

فالصبر خلق عظيم ثماره طيبة في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/٨٧) برقم (١٤٩٤)، والترمذي في جامعه برقم (٢٣٩٨)، وغيرهما، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٣).

تعريف الصبر وأنواعه وحكمه

أولاً: تعريف الصبر:

الصبر لغةً: عكس الجزع، وأصل الصبر: الحبي والمنع(١).

الصبر اصطلاحاً: هو حَبس النَّفسِ عن محَارمِ الله، وحَبسُها على فرائضه، وحَبسُها عنِ التَّسخُّط والشّكاية لأقداره(٢).

ثانياً: أنواع الصبر:

الصبر الواجب ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- الصبر على طاعة الله. ٢- الصبر عن المعاصي والمحرمات. ٣- الصبر على المصائب وأقدار الله المؤلمة.

ثالثاً: حكم الصبر:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**والصَّبرُ واجبٌ باتّفاق العُلماء**"(٣).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**ولهذا كان الصَّبرُ واجبًا باتّفاق المُسلمين على أداء الواجبات وتَرك المَحظورات. ويدخُل في ذلك الصَّبرُ على المَصَائب عن أن يجزَع فيها، والصَّبر عن اتّباعِ أهواء النُّفوسِ فيما نهى اللهُ عنه**"(٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وهو واجبٌ بإجماعِ الأُمَّة، وهو نصفُ الإيمان؛ فإنَّ الإيمانَ نصفان: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شُكرٌ**"(٥).

(١) انظر: الصحاح للجوهري (صـ٧٠٦)، لسان العرب (٤/٤٣٧).
(٢) رسالة ابن القيم لأحد إخوانه (صـ١٨).
(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (صـ١٣٦).
(٤) مجموع الفتاوى (١٠/٣٩).
(٥) مدارج السالكين (٢/١٥١).

الترغيب في الصبر

أولاً: الصبر في القرآن:

الصبر من أكثر الأخلاق التي اعتنى بها دين الإسلام؛ لذا تكرر ذكره في القرآن في مواضع كثيرة، فقد ورد ذكره في أكثر من تسعين موضعاً.

وقد ورد الصبر في القرآن في عدة أنواع:

أحدها: الأمر به، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[النحل:١٢٧]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[الطور:٤٨].

الثاني: النهي عما يضاده، كقوله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾[الأحقاف:٣٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾[القلم:٤٨].

الثالث: تعليق الفلاح به، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:٢٠٠].

الرابع: الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره، كقوله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾[القصص:٥٤]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:١٠].

الخامس: تعليق الإمامة في الدين به وباليقين؛ قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:٢٤].

السادس: حصولهم على معية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

السابع: أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم، وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

الثامن: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل الصبر عونا وعدة، وأمر بالاستعانة به، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة:٤٥]، فمن لا صبر له لا عون له.

التاسع: أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علق النصر بالصبر والتقوى، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥].

العاشر: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل الصبر والتقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران:١٢٠].

الحادي عشر: أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أخبر أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة بصبرهم، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤].

الثاني عشر: أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود:١١].

الثالث عشر: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣]، وقال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

الرابع عشر: أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعد المؤمنين بالنصر، وأخبر أنه إنما أنالهم ذلك بالصبر، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف:١٣٧].

الخامس عشر: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علق محبته بالصبر وجعلها لأهله فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٦].

السادس عشر: أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أخبر عن خصال الخير أنه لا يلقاها إلا الصابرون، وذلك في موضعين من كتابه؛ في سورة القصص في قصة قارون، وأن الذين أوتوا العلم قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي: ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص:٨٠]، وفي سورة حم السجدة؛ حيث أمر العبد أن يدفع بالتي هي أحسن، فإذا فعل ذلك صار الذى بينه وبينه عداوة كأنه حبيب قريب، ثم قال: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٥].

السابع عشر: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر أنه إنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبار الشكور، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في لقمان: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [لقمان:٣١].

ثانياً: الصبر في السنة:

١- عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فأعطاهم، ثُمَّ سأَلُوه فأعْطَاهم حتَّى نفَدَ ما عنْدَه؛ فَقَالَ: «**ما يكُونُ عنْدي من خيْرٍ فلَنْ أَدَّخره عنْكُم، ومن يستعفف يعفَّه اللَّه، ومن يستغْن يغْنه اللَّه، ومن يتَصبَّرْ يُصبِّرْه اللَّه، وما أُعطيَ أَحدٌ عطَاءً خيرًا وأَوسع من الصَّبْر**»(١).

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**ومن يتصبَّر: أي يطلُب توفيقَ الصَّبر من اللهِ؛ لأنَّه قال تعالى:** ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ **أي: يأمُر نفسَه بالصَّبرِ ويتكلَّفْ في التَّحمُّلِ عن مَشاقِّه، وهو تعميمٌ بعد تخصيصٍ؛ لأنَّ الصَّبرَ يشتمِلُ على صبرِ الطَّاعة والمَعصية**

(١) متفق عليه.

والبَلِيَّة، أو مَن يتصبَّرْ عن السُّؤال والتَّطلُّع إلى ما في أيدي النَّاس بأن يتجرَّع مرارةَ ذلك ولا يشكو حالَه لغيرِ ربِّه. يصبره الله: بالتَّشديد أي: يُسهِّل عليه الصَّبر"[١].

٢- وعن عطاء بن أبي رباح قال: قَالَ لي ابنُ عبَّاس: أَلَا أُرِيكَ امرأةً من أهلِ الْجَنَّة؟ قُلْتُ: بلى، قَالَ: هذه الْمرأةُ السَّوداء، أَتَت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقَالَتْ: إِنِّي أُصرَعُ، وإنِّي أَتَكَشَّفُ، فادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: « **إنْ شئت صبرت ولك الْجَنَّةُ، وإنْ شئت دعوتُ اللَّهَ أَنْ يعافيكَ**». فقَالَتْ: أَصبر، فقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فدعا لَهَا[٢].

٣- وبيَّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّ مَن صبر على فقد عينيه عوَّضه الله الجنَّة؛ فعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إنَّ اللَّهَ قَالَ: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوَّضته منهما الْجَنَّة**» يريد: عينيه[٣].

قال ابن بطَّال رَحِمَهُ اللهُ: " **في هذا الحديث حجَّةٌ في أنَّ الصَّبر على البلاء ثوابه الجنَّةُ، ونعمةُ البصر على العبد، وإن كانت من أجلِ نعم الله تعالى فعوضُ الله عليها الجنَّةَ أفضلُ من نعمتها في الدُّنيا؛ لنفاد مُدَّة الالتذاذ بالبصرِ في الدُّنيا، وبقاء مدَّة الالتذاذ به في الجنَّة**"[٤].

٤- وعن صهيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عجبا لأَمرِ الْمؤمن، إنَّ أَمرهُ كُلَّهُ خيرٌ، ولَيس ذاكَ لأَحد إلا للْمؤمن، إنْ أَصابته سرَّاء شكر فَكَانَ خيرا لَه، وإنْ أَصابته ضرَّاء صبر فكَانَ خيرا لَهُ**»[٥].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: "**قولُه: « عجبًا لأمرِ المُؤمن، إنَّ أمره كُلَّه له خيرٌ» أي: أنَّ الرَّسولَ عليه الصَّلاةُ والسَّلام أظهرَ العجبَ على وجه الاستحسان لأمرِ المُؤمن، أي: لشأنه؛ فإنَّ شأنه كُلَّه خيرٌ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، ثُمَّ فصَّلَ الرَّسولُ عليه الصَّلاةُ والسَّلام هذا الأمر الخيِّر، فقال: « إن أصابته سرَّاء شَكَر فكان خيرا له، وإن**

(١) عون المعبود (٥/٤٠).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٣٢٩).

(٤) شرح صحيح البخاري (٩/٣٧٧).

(٥) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٩٩).

أصابته ضَرَّاء صبر فكان خيرا له» هذه حالُ المُؤمن وكُلِّ إنسان؛ فإنَّه في قَضاء الله وقَدَره بين أمرين: إمَّا سَرَّاء وإمَّا ضَرَّاء، والنَّاس في هذه الإصابة ينقسمونَ إلى قسمين: مُؤمن، وغَير مؤمن؛ فالمُؤمن على كُلِّ حال ما قدَّر الله له فهو خَير له، إن أصابته الضَّرَّاء صبر على أقدار الله، وانتظَر الفرجَ من الله، واحتسب الأجر على الله، فكان خَيرا له، فنال بهذا أجر الصَّابرين. وإن أصابته سَرَّاء من نعمة دينيَّة كالعلم والعمل الصَّالح، ونعمة دُنيويَّة كالمال والبنين والأهل، شَكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله عَزَّ وجلَّ، فيشكُرُ الله فيكُونُ خَيرا له، ويكونُ عليه نعمتان: نعمةُ الدِّين، ونعمةُ الدُّنيا: نعمةُ الدُّنيا بالسَّرَّاء، ونعمةُ الدِّين بالشُّكر، هذه حَالُ المُؤمن. وأمَّا الكافر فهو على شَرٍّ -والعياذُ بالله- إن أصابته الضَّرَّاء لم يصبر بل يضجر، وَدعا بالويل والثُّبور، وسبَّ الدَّهر، وسبَّ الزَّمن.... والحديث فيه الحثُّ على الصَّبر على الضَّرَّاء، وأنَّ ذلك من خصال المُؤمنين، فإذا رأيت نفسك عند إصابة الضَّرَّاء صابرا مُحتسبا، تنتظرُ الفرج من الله سُبحانه وتعالى، وتحتسبُ الأجر على الله، فَذلك عُنوانُ الإيمان، وإن رأيت بالعكس فلُمْ نفسك، وعَدِّلْ مسيرك، وتُبْ إلى الله"[١].

ثالثاً: من أقوال السلف في الصبر:

١- قال عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " إنَّ أفضل عيشٍ أدركناه بالصَّبر، ولو أنَّ الصَّبر كان من الرِّجال كان كريماً"[٢].

٢- وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " ألا إنَّ الصَّبر من الإيمان بمنزلة الرَّأس من الجَسد، فإذا قُطع الرَّأسُ باد الجَسدُ، ثُمَّ رفع صوته فقال: ألا إنَّه لا إيمانَ لَمن لا صَبر له"[٣].

(١) شرح رياض الصالحين (١/١٩٧).

(٢) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص٢٣).

(٣) المرجع السابق (ص٢٤).

٣- وكان خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: "**يا أهل الإسلام، إنَّ الصَّبر عزٌّ، وإنَّ الفشل عجزٌ، وإنَّ مع الصَّبر النَّصر**"[١].

٤- وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وهو على المنبر: "**ما أنعم الله على عبد نعمةً فانتزعها منه، فعاضه مكان ما انتزع منه الصَّبر، إلا كان ما عوَّضه خيرا ممَّا انتزع منه، ثُمَّ قرأ:** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾"[٢].

٥- وعن إبراهيم التَّيميِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: "**ما من عبد وهب الله له صبرا على الأذى، وصبرا على البلاء، وصبرا على المصائب، إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيه أحدٌ بعد الإيمان بالله**"[٣].

٦- وقال زياد بن عمرٍو رَحِمَهُ اللَّهُ: "**كُنَّا نكره الموت وألم الجراح، ولكنَّا نتفاضل بالصَّبر**"[٤].

٧- قال سفيان الثَّوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فيما أوصى به عليَّ بن الحسن السُّلميَّ: "**عليك بالصَّبر في المواطن كُلّها؛ فإنَّ الصَّبر يجُرُّ إلى البرِّ، والبرَّ يجُرُّ إلى الجنَّة، وإيَّاك والحدَّة والغضب؛ فإنَّهما يجُرَّان إلى الفجور، والفجور يجُرُّ إلى النَّار**"[٥].

٨- وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: "**لم يعط العباد أفضل من الصَّبر، به دخلوا الجنَّة**"[٦].

---

(١) العقد الفريد (١/٩٢).

(٢) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (صـ٣٠).

(٣) المرجع السابق (صـ٢٨).

(٤) المرجع السابق (صـ٤٤).

(٥) حلية الأولياء (٧/٨٣).

(٦) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (صـ٥٠).

الصبر عند الصدمة الأولى

أخبر النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأنَّ الصَّبر عند الصَّدمة الأولى؛ فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرَّ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «**اتَّقي الله واصبري**»، قالت: إليك عني، فإنَّك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنَّه النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فأتت باب النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلم تجد عنده بوَّابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنَّما الصَّبر عند الصَّدمة الأُولَى**»(١).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: " **فإنَّ مفاجأة المُصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب، وتزعجه بصدمها، فإنْ صبر الصَّدمة الأولى انكسر حدُّها، وضعفت قوَّتُها، فهان عليه استدامةُ الصَّبر، وأيضًا فإنَّ المُصيبةَ ترِدُ على القلب وهو غير موطّن لها فتزعجه، وهي الصَّدمةُ الأولى، وأمَّا إذا وردت عليه بعد ذلك توطَّن لها، وعلم أنَّه لا بدَّ له منها، فيصير صبره شبيه الاضطرار، وهذه المرأةُ لمَّا علمت أنَّ جزعها لا يُجدي عليها شيئًا جاءت تعتذر إلى النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلم، كأنَّها تقولُ له: قد صبرتُ، فأخبرها أنَّ الصَّبر إنَّما هو عند الصَّدمة الأولى**"(٢).

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: "**الصبر الذي فيه الثواب والأجر هو ما يحصل عند أول المصيبة من موت قريب أو مرض أو مفاجأة بشيء يضر الإنسان يصبر ويحتسب، فلا يجزع، ولا يتكلم بسوء، ولا يفعل ما لا ينبغي عند الصدمة الأولى، فيثاب على ذلك، أما إذا فعل ما لا ينبغي ثم صبر بعد ذلك فهذا ما ينفع، الصبر لابد منه، سوف يقع، سوف يتسلى بعد ذلك إذا طالت المدة كصبر البهائم هذا لا ينفع، الصبر الذي فيه الأجر العظيم عند الصدمة الأولى، عند أول ما تنزل به المصيبة من موت أو غيره يتحمل ولا يجزع ولا ينح ولا ينتف شعرا ولا يشق ثوبا، ولا يرفع صوته بالنياحة، هكذا**

(١) متفق عليه.

(٢) عدة الصابرين (١/١٣٧).



يكون الصبر، بل يتحمل ويسأل ربه التوفيق، ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل، ولا يجزع، ولا يفعل ما لا ينبغي، ولا يقل ما لا ينبغي"[١].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الصبر حقيقة عند الصدمة الأولى؛ لأنه هو الذي يأتي الإنسان ويكون متأثراً، فإذا لم يصبر فليس هناك فائدة، يعني مثلاً: لو أنه حينما أصيب بمصيبة مباشرة قام يشق جيبه ويلطم خده، ثم بعد ذلك فكر وقال: أنا غلطان، فإنه فاته أجر الصابرين، لأن الصبر عند الصدمة الأولى"**[٢].

(١) https://cutt.us/ju5iX

(٢) لقاء الباب المفتوح (٢٠٢).

الوسائل المعينة على الصبر على البلاء

هناك جملة من الأسباب تهون على المبتلى وتُخفِّف عنه ألَم المصيبة منها:

١- أن يعلم أن القدَر واقع لا محالة، وأنها مقدَّرة في أُمِّ الكتاب قبل أن يخلق، فإنه ليس لأحد مفرٌّ عن أمر الله وقضائه، قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني: من قبل أن نخلقها"**(١).

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: "﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: **بِأَمْرِ اللَّه، يَعْنِي: عَنْ قَدَرِه ومَشِيئَتِه**"(٢).

وقال علقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: **"هُوَ الرَّجُل تُصِيبُه الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَم أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّه، فَيَرْضَى وَيُسَلِّم"**(٣).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(٤).

فإذا علم المبتلى بأن هذه المصيبة مقدَّرة عليه في أُمِّ الكتاب فلا بد منها، فجزعه لا يزيده إلا بلاء.

---

(١) جامع البيان (٢٣/١٩٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/١٣٧).
(٣) جامع البيان (٢٣/٤٢١)، وتفسير ابن كثير (٨/١٣٨).
(٤) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٣).

فالعاقل هو الذي يعلم أن المصيبة إذا وقعت فلا فائدة من الاعتراض على أمر الله، فالمؤمن العاقل هو الذي يعلم أن الخير كل الخير في الفوز بثواب الرضا، والصبر على هذا البلاء، فليس هناك أسوأ من العبد الذي يخرج من البلاء مُحمَّل بالذنوب التي جناها من تسخُّطه على أمر الله، وليس هناك أفضل من العبد الذي يغتنم لحظات البلاء للفوز بالأجر والرضوان والاقتراب من جنة الرحمن جَلَّ جَلَالُهُ.

فيا أيها المصاب: إياك وكلمة "لو"، فإذا كانت إصابتك بهذه المصيبة بسبب من الأسباب؛ كحادث سيارة أو حريق بالنار، أو سقوط من علو، أو بسبب عمل قمت به، فلا تفتح على نفسك بابا للشيطان فتقول: لو فعلت كذا لكان كذا، ولو لم أفعل كذا لم يكن كذا، إلى غير ذلك مما فيه اعتراض على القدر، وإنما عليك التسليم بما حصل، واليقين بأن ما أصابك فلا بد من حصوله، وأنه ما شاء الله لا بد أن يقع على وفق مشيئته جَلَّ جَلَالُهُ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"إذا أصاب العبد ما يكرهه فلا ينسب ذلك إلى ترك بعض الأسباب التي يظنُّ نفعها لو فعلها، بل يسكن إلى قضاء الله وقدره، ليزداد إيمانه، ويسكن قلبه، وتستريح نفسه، فإن "لو" في هذه الحال تفتح عمل الشيطان بنقص إيمانه بالقدر، واعتراضه عليه، وفتح باب الهم والحزن المضعف للقلب"**[1].

٢- أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه، فالله عَزَّوَجَلَّ له الملك كله، وله الحمد كله؛ كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦]، وهذا من تمام الإيمان بربوبية الله عَزَّوَجَلَّ ومشيئته النافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فإذا ابتلي العبد المؤمن فعليه أن يرضى بما قدره الله له؛ إذ لو لم يكن كذلك كان خارجا عن حقيقة العبودية.

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (صـ٣٧).

ويقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ليس المؤمن بالذي يؤدي فرائض العبادات صورة، ويتجنب المحظورات فحسب، إنما المؤمن هو الكامل الإيمان، ولا يختلج في قلبه اعتراض...وكلما اشتد البلاء عليه، زاد إيمانه، وقوي تسليمه...والإيمان القوي يبين أثره عند قوة البلاء"**(١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فإنَّه سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاءً إلّا كان خيرا له، ساءه ذلك القضاء أو سرَّه، فقضاؤه لعبده المؤمن عطاء وإن كان في صورة المنع، ونعمةٌ وإن كان في صورة محنة، وعافيةٌ وإن كانت في صورة بليَّة، ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعدُّ العطاء والنّعمة والعافية إلّا ما التذّ به في العاجل، وكان ملائماً لطبعه، ولو رزق من المعرفة حظًّا وافرا لعدَّ نعمة الله عليه فيما يكرهه أعظم من نعمته عليه فيما يحبُّه"**(٢).

لَما قدم سعد بن أبي وقّاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى مكّة وقد كُفَّ بصره، جعل الناس يهرعون إليه ليدعو لهم، فجعل يدعو لهم. قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام فتعرَّفت إليه فعرفني، فقلت: يا عمُّ، أنت تدعو للناس، فلو دعوت لنفسك لردَّ الله عليك بصرك، فتبسَّم ثمَّ قال: **"يا بنيَّ، قضاء الله عندي أحبُّ إليَّ من بصري"**(٣).

فعلى صاحب البلاء أن يحبَّ ما أحب الله له، وأن يرضى بما رضيه له.

سبحان من ابتلى أُناسا … أحبَّهم والبلا عطاء
فاصبِرْ لبلْوى وكُن رَضيًّا … فإنَّ هذا هو الدَّواء
سلّم إلى الله ما قضاه … ويفعل الله ما يشاء

---

(١) صيد الخاطر (ص٢٨٣).
(٢) مدارج السالكين (٢/٥٤٠).
(٣) مدارج السالكين (٢/٥٥٩).

٣- أن يعلم المبتلى أنه بعد صبره على هذا البلاء سيحصل له من الشفاء والعافية وزوال الألم ما لم يحصل له بدونه، فإذا كرهت نفسه هذا البلاء فلينظر إلى ما يترتب عليه من أجر عند ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى في حديث الإفك: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"في هذه الآية عدةُ حِكَم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه؛ لم يأمن أن تُوافيه المضرةُ من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمهَ بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد"**(١).

وقال الله تعالي: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩].

فليعلم كل من أصيب بمصيبة سواء في نفسه أو ماله أو ولده، أن هذا وقع برضا مالكه وخالقه، فيجب عليه أن يرضى بما يرضى به السيد، ويعاقب نفسه إذا جزعت، ويقول لها: أما علمت أن هذا لا بد منه، فما وجه الجزع؟! ومن نظر إلى العواقب هان عليه مرارة الدواء.

يا صاحب الهمِ إنَّ الهمَّ منفرج — أبشر بخيرٍ فإنَّ الفارج الله
اليأس يقْطَع أحياناً بصاحبه — لا تيئسنَّ فإنَّ الكافي الله
إذا بليت فثق بالله وارض به — إنَّ الذي يكشف البلْوى هو الله
الله يُحدِث بعدَ العسرِ ميسرةً — لا تجزعنَّ فإنَّ الصَّانع الله

---

(١) الفوائد (صـ١٩٩).

فلا بد للمصاب أن يُحسن الظنَّ بالله عَزَّوَجَلَّ، ويعلم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا؛ فقد قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا * إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾ [الشرح:٥-٦].

٤- تذكُّر الموت، واستشعار حقارة هذه الدنيا التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنها ستنتهي وينتهي معها البلاء، عن أَنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بمجلس وهم يضحكون فقال: «**أَكْثِروا من ذكر هاذم اللَّذَّات، فَإِنَّهُ ما ذَكَرَه أَحدٌ في ضيقٍ من الْعيش إلاّ وسَّعه عليه، ولَا في سعة إلّا ضيَّقه عليه**»(١).

وقوله: «هاذم اللَّذَّات» بالذال؛ أي: قاطع اللذات(٢).

والمراد أن العبد إذا ذكر الموت وهو في حالة ضيق أو بلاء، هان عليه ذلك البلاء؛ لعلمه بسرعة التخلص منه، وحصوله للأجر والثواب المترتب على صبره، وإذا ذكر الموت وهو ليس من أهل الضيق أو البلاء؛ فإن الدنيا تصبح في نظره حقيرة، لعلمه بالانتقال عنها وسرعة زوالها، وهذا خير له من أن ينهمك في الملذّات والشهوات، وينسى الموت وما وراءه.

قال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**إِذَا كُنْتَ مِنَ الدُّنْيا فيما يسُوؤكَ فَاذْكُرِ الْمَوْتَ، فَإِنَّهُ يسهل عَلَيْك**"(٣).

٥- وممَّا يهون على أهل البلاء، ويُخفِّف عنهم ألم المصيبة، أن يتذكّروا نعم الله عليهم، فإذا أخذ فكم أعطى، وإذا ابتلى فكم عافى؟!

ومن أعظم هذه النعم، أن يتذكر كيف هداه الله للإسلام، وجعله من أمة خير الأنام صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فليفرح بما تفضل الله عليه، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨].

ثم يتذكر نعمة السمع والبصر والسلامة من العلل والآفات، فإذا تذكر العبد هذه النِّعم، تسلَّى عن مصيبته، ووجد شغلاً في حمد الله عليها، والقيام بواجب شكرها.

---

(١) رواه البزار في مسنده برقم (٦٩٨٧)، وابن حبان في صحيحه برقم (١١٦١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢١١).

(٢) انظر: لسان العرب (١٢/٦٠٦).

(٣) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (ص٧٦).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: "**يذْكُر الْمصائب وينسى النعم**"(١).

فمن سوء الأدب إذا أخذ الله منه نعمة أن ينسى باقي النعم التي أنعم الله بها عليه.

وتأمَّل قصة عروة بن الزبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ كيف كان صبره، وكيف كان استحضاره لنعم الله عليه، وهو في أشد المحنة وتسليه بما أبقاه الله عليه، وخلاصتها أن عروة أصيب بمرض الأَكِلة(٢) في رجله وهو مسافر، فقرَّر الطبيب قطعها من منتصف الساق فقطعها، ثم أُصيب في ذلك السفر بموت ابنه محمد حيث رفسته بغلة، فجعل عروة يقول -وقد اجتمعت عليه المصيبتان في آن واحد-: "**اللهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنْهُمْ واحدًا وأَبْقَيْتَ ستَّةً، وَكَانَتْ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ فَأَخَذْتَ منِّي طَرَفًا وأَبْقَيْتَ لِي ثَلاثًا وايمُك لَئِن ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ، وَلَئِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ**"(٣).

٦- أن يعلم المبتلى أن المصيبة قد تكون أكبر من هذا فخفَّف الله عنه فابتلاه بما هو عليه الآن، ولو شاء الله لكانت أعظم من هذا.

قال شريح القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**إنِّي لأُصَابُ بالمُصِيبَة، فَأَحْمَدُ الله عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّات، أَحْمَدُ إذْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَ مِنْهَا، وأَحْمَدُ إذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وأَحْمَدُ إذْ وفَّقَنِي للاسْتِرْجَاعِ لمَا أَرْجُو من الثَّواب، وأَحْمَدُ إذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِيْنِي**"(٤).

وقال حبيب بن عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**ما ابْتَلَى اللَّهُ عَبْدًا ابْتِلَاءً إلا كَانَ للهِ عَلَيْهِ فيه نِعْمَةٌ أَلَّا يَكُونَ ابْتلاهُ بأَشَدَّ مِنْهُ**"(٥).

٧- أن يعلم أن البلاء علامة على محبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له، وإرادة الخير له.

---

(١) المرض والكفارات لابن أبي الدنيا (ص١٧٥).

(٢) الأَكِلة: داء يقع في العضو فيأكل منه. انظر: لسان العرب (٢٢/١١).

(٣) المرض والكفارات لابن أبي الدنيا (ص١١٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٠٥/٤).

(٥) الشكر لابن أبي الدنيا (ص٤٦).

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**مَن يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**إنَّ عِظَمَ الجزاء مع عِظَمِ الْبَلَاءِ، وإنَّ اللَّهَ إذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رضي فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»(٢).

وأين هذا الخير الذي أراده الله بعبده عندما يبتليه بالبلاء؟

الخير في أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يطهِّره بهذا البلاء من الذنوب والمعاصي والآثام، فيوافيه يوم القيامة ولا ذنب له؛ كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(٣).

وأما إذا أراد الله بعبده شرًّا أمسك عنه ما يطهره من ذنوبه؛ من بلاء في جسده أو ماله أو ولده، أو غير ذلك من ألوان البلاء، حتى يرد على الله يوم القيامة وقد أثقلت الذنوب كاهله، وفي هذا يقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤).

وكان بعض السلف يقول: "**لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس**"(٥).

عن أَبِي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ، لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ، لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ**»(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٣٢١).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٦٩)، وابن ماجه في سننه برقم (٤٠٣١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢١١٠).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٥٩/٣) برقم (١٦٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٩٩٢).

(٤) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٨).

(٥) الطب النبوي لابن القيم (صـ١٤٣).

(٦) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٠٩).

وفي لفظ: «مثل الْمُؤمن كَمثل خَامَة الزَّرْع، يفيء ورقُه من حيث أَتتها الرِّيح تكَفّئُهَا، فَإِذَا سَكَنت اعْتَدَلَتْ، وَكَذَلكَ الْمُؤمن يكَفَّأُ بالْبَلَاء، ومثل الْكَافِر كَمثل الْأَرْزَة، صمَّاء معْتَدلَة، حتَّى يقْصمهَا اللَّهُ إِذَا شَاء»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَالَ الْعلَمَاء: معْنَى الْحَدِيث أَنَّ الْمُؤْمِن كَثِير الْآلَام فِي بدَنه أَوْ أَهْله أَو ماله، وذَلِك مُكَفِّرٌ لسَيِّئَاته ورافِعٌ لدَرَجَاته، وَأَمَّا الْكَافِر فقَلِيلُهَا وإِنْ وقَع به شَيْء لَمْ يُكَفِّرْ شَيْئًا من سَيِّئاته، بل يأْتِي بِهَا يوم الْقِيامَة كَامِلَة"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وما يصيب الإنسان، إن كان يسرُّه فهو نعمة بينة، وإن كان يسؤوه فهو نعمة من جهة أنه يُكَفِّر خطاياه، ويثاب بالصبر عليه. ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ "[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من إتمام رحمة أرحم الراحمين: تسليطُ أنواع البلاء على العبد، فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أعراضه وشهواته: من رحمته به، ولكن العبد لجهله وظُلمه يتّهم ربَّه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه... ومن رحمته: أن نغّص عليهم الدنيا وكدَّرها، لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا في النّعيم المُقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم"[(٤)].

٨- ومما يهون على المبتلى ويخفّف عنه ألم المصيبة: أن يعلم أن الله يكافئه في الدنيا خير مما فقد إذا صبر واحتسب:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٤٦٢).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/١٥٣).
(٣) الحسنة والسيئة (ص٧٢).
(٤) إغاثة اللهفان (٢/١٧٤).

إن من كرم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ على عباده الذين يبتليهم أنه يكافئهم في الدنيا، ويعوضهم على ما فقدوه، ومن الأمثلة على ذلك:

- ما حدث لإبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ عندما ابتلاه الله بذبح ابنه؛ فوجده طائعا لأمره، ففداه بذبحٍ عظيم، وأمره ببناء البيت الحرام.

- ويعقوب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ غاب عنه ولده يوسف سنين عديدة، وهو يصبر، ويكابد الآلام، ثم يفقد ابنه الثاني، ويصبر ويفقد بصره ولم يفقد صبره، ويعوضه الله أن يعودوا إليه جميعا ويجمع شمل أولاده، ويعود إليه بصره.

- ويوسف عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يسجن ظُلما ويصبر، ثم يخرج يملك خزائن الأرض.

- وموسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يغيب عن أُمِّه صغيرا، وعن قومه كبيرا فيصبر، فتكون له العاقبة.

- والنبي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يُخرجه قومه من بلده -وهي أحبُّ البلاد إليه- فيصبر ويحتسب، ولكنه يرجع إليها عزيزاً منتصراً.

- ما حدث لأم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لما مات زوجها فصبرت واحتسبت، عوضها الله خيرا منه؛ "رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ".

- ما حدث لأمّ سليم رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا زوجة أبي طلحة حين صبرت على فقد ولدها، عوَّضها الله خيرا من ذلك ولدا جاء من نسله تسعة أولاد، كلهم يحفظون القرآن.

٩- ومما يهون على المبتلى ويُخفّف عنه ألم المصيبة: أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواء نافع ساقه إليه العليم بمصلحته الرحيم به.

اعلم أيها المبتلى أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أرحم بك من نفسك ومن والديك ومن الناس أجمعين؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:١٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، وهذا إخبار منه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بأنه كتب الرحمة على نفسه تفضُّلًا منه بذلك.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: « **أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**» قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَلَّا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[(١)].

فإذا علمت أن الله أرحم بك من نفسك ومن والدتك، فاعلم أن ما يصيبك هو عين الرحمة بك؛ لأن الذي قضاه عليك أرحم الراحمين.

ولتعلم أيها المبتلى: أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لم يقدر عليك هذه المصيبة ليهلكك بها، ولا ليعذّبك؛ إنّما ابتلاكَ ليمتحن صبرَكَ ورضاكَ عنه.

هنيئًا لأهل البلاء الصابرين، هنيئًا لأهل البلاء إذا صبروا واحتسبوا.

(١) متفق عليه.

فوائد وحِكَم الابتلاء

١- أنه يُمحِّص ما في القلب: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"تمحيص ما في قلوب المؤمنين، وهو تخليصه وتنقيته وتهذيبه، فإن القلوب يخالطُها بغلَبات الطباع وميلِ النفوس وحكم العادة وتزيين الشيطان واستيلاء الغفلة ما يضادُّ ما أُودع فيها من الإيمان والإسلام والبر والتُّقى، فلو تُركت في عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذا المُخالط ولم تتمحص منه، فاقتضت حكمة العزيز الرحيم أن قيّض لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده وإلا خيف عليه منه الفساد والهلاك"**(١).

٢- أنه يفرق بين الطيب والخبيث: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"أي: لا بد أَنْ يَعْقِدَ سَبَبًا مِنَ الْمِحْنَةِ، يَظْهَرُ فيه وليُّه، ويَفْتَضِحُ فيه عدوُّه. يُعرف به الْمُؤْمنُ الصَّابر، والْمُنافقُ الْفَاجرُ"**(٢).

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"أن يعلم -أي المبتلى- أنّ المصيبة ما جاءَت لتُهلكَه وتقتلَه، وإنّما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله**

---

(١) زاد المعاد (٣/٢٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/١٧٣).

من أوليائه وحزبه أم لا؟ فإن ثبت اصطفاه واجتباه، وخلع عليه خلَع الإكرام، وألبسه ملابس الفضل، وجعل أولياءه وحزبه خدما له وعونا له"(١).

٣- أن البلاء يميِّز المحب من المبغض: أي إنه يظهر المحب لمن نزل به البلاء أو المبغض له، فلا تظهر المحبة والبغضاء إلا لمن نزل به البلاء، فإذا حلَّت المصيبة بالإنسان تجد هناك من يلتفُّ حوله من أهل الفضل والخير، ويتقدّمون العون ويد المساعدة، ويسخّرون في ذلك الولد والمال، وربما يقدم نفسه في خدمة هذا المبتلى، فتجد الواحد منهم يسعَى ويجدُّ ويجتهد في رفْع هذا البلاء أو تخفيفه بقَدْر المستطاع. وعلى الجانب الآخر الشامت الذي يفرح بنزول هذا البلاء، وقد كان قبل نزول البلاء بهذا المبتلى حنونًا في الظاهر مشفقًا، يلتفُّ حوله وقت العافية والرخاء، لكن وقت البلاء ونزول المصيبة إما في الجسد أو المال يتركه ولا يقف بجانبه.

وهكذا دوما المصائب، تفرز وتظهر الناس، فيكون هناك أهل الفضل والصلاح تنفعك بعد المصيبة صحبتهم، وآخرون ظهر معدنهم لتكون على حذر منهم، فتظهر المصائب المحبَّ من المبغض.

جزى الله الشدائدَ كُلَّ خيرٍ عَرفْتَ بها عَدُوِّي من صديقي

٤- أنه يكون سببا في الرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والوقوف ببابه والتضرُّع والاستكانة والدعاء؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم:٣٣].

عَنْ كُرْدُوسِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ مِمَّنْ قَرَأَ الْكُتُبَ قَالَ: **" إِنَّ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل مِنَ الْكُتُبِ: إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَبْتَلِي الْعَبْدَ وَهُوَ يُحِبُّهُ؛ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ"**(٢)، فكم من عبدٍ لما نزل به بلاء نهض من غفلته، ورفع يديه تائباً متضرعا لله تعالى.

فيا أيها المبتلى:

---

(١) طريق الهجرتين (٢/٦٠٢).

(٢) مسند ابن الجعد برقم (٧٩)، والزهد لأبي حاتم برقم (٣٤).

إذا أردت أن يستجيب الله لك في الشدَّة، فعليك أن تكثر من الدعاء في الرخاء؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**من سرَّه أن يستجيب الله له عند الشّدائد والكرب فليكثر الدُّعاء في الرَّخاء**»[1].

فالعبد في أشد الحاجة إلى أن يسأل ربَّه حاجته، وأن يلجأ إليه عند كربه؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

٥- أنه يُخلّص العبد من الكِبر والعجب والفخر والخَيلاء والتجبُّر: فلولا المحن والمصائب لأصاب العبد من الكبر والعجب وقسوة القلب ما هو سبب في هلاكه، فكان من رحمة الله أن يتفقده بأنواع من أدوية المصائب، تكون حمية له من هذه الأدواء.

والإنسان بطبعه -إلّا من رحم الله- ينسى إكرام المنعم الكريم جَلَّ جَلَالُهُ، ولا يشكره على إنعامه؛ ولذلك قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٢]؛ ولذا فإن الإنسان إذا لم يشعر بنعمة ربّه عليه، ويوقن بأنه فقير إلى ربّه، وأن الله غني عن الخلق أجمعين، وأنه هو الضعيف، وأن الله هو القوي العزيز= إن لم يشعر العبد بذلك فسوف يصاب بأدواء الكبر والخيلاء والتجبُّر لا محالة.

فمن كمال رحمة الله أن يبتلي العبد؛ ليشعر العبد بأنه عبد لله، فقيراً إلى الملك جَلَّ جَلَالُهُ.

٦- تكفير السيئات ومحوها: فالمصائب كفَّارات مع أنها يسيرة فانية، وهي تدفع عقوبات الآخرة مع أنها خطيرة باقية، وقد جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حتى الهموم والغموم -فضلًا عن المصائب- من أسباب تكفير السيئات.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٣٨٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٢٩٠).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما يصيب الْمسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتَّى الشَّوكة يشاكها، إلا كفَّر اللَّه بها من خطاياه**»(١).

النصب: التعب، والوصب: الوجع.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مصيبة تصيب الْمسلم إلا كفَّر اللَّهُ بها عنه، حتَّى الشَّوكة يشاكها**»(٢).

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنَّك توعك وعكًا شديدًا، قال: «**أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**»، قلت: ذلك أنَّ لك أجرين؟ قال: «**أجل؛ ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى؛ شوكة فما فوقها، إلا كفَّر اللَّه بها سيئاته، كما تحطُّ الشَّجرة ورقها**»(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "**فلأهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام يتطهَّرون بها في الدُّنيا، فإن لم تف بطهرهم طهِّروا في نهر الجحيم يوم القيامة: نهر التوبة النَّصوح، ونهر الحسنات المستغرقة للأوزار المحيطة بها، ونهر المصائب العظيمة المكفِّرة. فإذا أراد الله بعبد خيرا أدخله أحد هذه الأنهار الثَّلاثة، فورد القيامة طيِّبا طاهرا**"(٤).

٧- الرفعة في الدرجات: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الرَّجل لتكون له عند الله الْمنزلة، فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتَّى يبلِّغه إيَّاها**»(٥).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) مدارج السالكين (١/٤٨١).

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٥٧٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٦٢٥).

فقد يكون عمل الرجل لا يبلّغه الدرجة التي أعدَّها الله له في الجنة، فيبتليه ليرفع درجته في الجنة، التي فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: دَخَلَ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ بِمِنًى وَهُمْ يَضْحَكُونَ فَقَالَتْ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟ قَالُوا: فُلَانٌ خَرَّ عَلَى طُنُبِ فُسْطَاطٍ فَكَادَتْ عُنُقُهُ أَوْ عَيْنُهُ أَنْ تَذْهَبَ فَقَالَتْ: لَا تَضْحَكُوا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»**(١).

الطُّنب: هو الحبل الذي يشدُّ به الفسطاط، والفسطاط: بيت من الشَّعر، وهو الخباء ونحوه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: **"فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ قَلَّمَا يَنْفَكُّ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ سَاعَةً مِنْ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَفِيهِ تَكْفِيرُ الْخَطَايَا بِالْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ وَمَصَائِبِ الدُّنْيَا وَهُمُومِهَا وَإِنْ قَلَّتْ مَشَقَّتُهَا، وَفِيهِ رَفْعُ الدَّرَجَاتِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، وَزِيَادَةُ الْحَسَنَاتِ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ"**(٢).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٧٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٢٨).

هل المؤمن يُثاب ويؤجر على المصيبة؟ أم على الصبر عليها والرضا بها؟

اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

القول الأول: أنه لا ثواب للمصاب إلا على الصبر، واستدلوا بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]، فما حصل من صلاة ورحمة وهداية إنما هو بسبب استرجاعهم.

وكذلك حديث أَبِي موسى الأَشْعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رسُولَ اللَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: « **إذَا مَاتَ وَلَدُ العبْدِ قَالَ اللَّهُ لملائكَتِه: قَبَضْتُم ولَدَ عبْدِي، فيقُولُونَ: نعَمْ، فيقُولُ: قبَضتُم ثَمرَةَ فُؤاده، فيقُولُونَ: نعم، فيقُولُ: ماذَا قَالَ عبْدِي؟ فيقُولُونَ: حمِدكَ واسْتَرْجعَ، فيقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لعبْدِي بيْتًا في الجنَّة، وسَمُّوهُ بيْتَ الحمْدِ**»[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: "**وحكى الْخَطَّابِيُّ عَنْ غَيْرِه أَنَّ الْمرء لَا يُؤجر عَلَى الْمصيبة؛ لأَنَّهَا لَيْست من صنعه، وإِنَّمَا يُؤجر عَلَى حسن تثبُّته وجميل صبْره**"[٢].

وكذلك قال القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ؛ إنه لابد من الصبر والاحتساب على المصيبة حتى يؤجر العبد، واستدل بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦].

القول الثاني: إن المصاب يثاب على كل مصيبة تنزل به، واستدلوا بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة:١٢٠].

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (١٠٢١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٥).

(٢) فتح الباري (٣/١٥٠).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ، يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»(١).

وقد تعقَّب ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ القرطبيَّ فقال: "الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ صَرِيحَةٌ فِي ثُبُوتِ الْأَجْرِ، بِمُجَرَّدِ حُصُولِ الْمُصِيبَةِ، وَأَمَّا الصَّبْرُ وَالرِّضَا فَقَدْرٌ زَائِدٌ يُمْكِنُ أَنْ يُثَابَ عَلَيْهِمَا زِيَادَةً عَلَى ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ، قَالَ الْقَرَافِيُّ: الْمَصَائِبُ كَفَّارَاتٌ جَزْمًا سَوَاءٌ اقْتَرَنَ بِهَا الرِّضَا أَمْ لَا، لَكِنْ إِنِ اقْتَرَنَ بِهَا الرِّضَا عَظُمَ التَّكْفِيرُ وَإِلَّا قَلَّ، كَذَا قَالَ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْمُصِيبَةَ كَفَّارَةٌ لِذَنْبٍ يُوَازِيهَا، وَبِالرِّضَا يُؤْجَرُ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمُصَابِ ذَنْبٌ عُوِّضَ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ بِمَا يُوَازِنُهُ"(٢).

فالمصائب كفَّارات للذنوب؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»(٣).

أما الأجر والثواب فلا يكون إلَّا مع الصبر والرضا؛ فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ» يريد: عينيه(٤).

وعن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٥).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْمَصَائِبُ الَّتِي تَجْرِي بِلَا اخْتِيَارِ الْعَبْدِ كَالْمَرَضِ وَمَوْتِ الْعَزِيزِ عَلَيْهِ وَأَخْذِ اللُّصُوصِ مَالَهُ فَإِنَّ تِلْكَ إِنَّمَا يُثَابُ عَلَى الصَّبْرِ

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (١٣٩٠).
(٢) فتح الباري (١٠/١٠٥).
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٣٢٩).
(٥) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٩٩).

عَلَيْهَا لَا عَلَى نَفْسِ مَا يَحْدُثُ مِنْ الْمُصِيبَةِ؛ لَكِنَّ الْمُصِيبَةَ يُكَفَّرُ بِهَا خَطَايَاهُ فَإِنَّ الثَّوَابَ إنَّمَا يَكُونُ عَلَى الْأَعْمَالِ الاخْتِيَارِيَّةِ وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهَا"[1].

١ مجموع الفتاوى (١٠/١٢٤).

مقامات الناس في حال المصيبة أو البلاء

المصائب على نوعين(١):

النوع الأول: أن تكون تكفيراً لسيئات وقعت من المرء وإصلاحاً لحاله، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

والنوع الثاني: أن تكون المصائب ليست عقوبة لسيئات وقعت من المرء، ولكن لزيادة رفعة في درجاته، وليحصل على وصف الصبر الذي أثنى الله على القائمين به وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

والمبتلى له أربعة مقامات تجاه البلاء(٢):

المقام الأول: السخط، وهو حرام، بل من كبائر الذنوب، سواء كان في القلب أو اللسان أو الجوارح، فالتسخط في القلب أن يرى أن الله ظلمه في هذا البلاء وأنه ليس أهلاً لأن يصاب به، وأما التسخط باللسان كأن يدعو على نفسه بالهلاك، وأما السخط بالجوارح فكأن يلطم الخدود ويشق الجيوب وينتف الشعر، وقد تبرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ممن يفعل هذا، فعَنْ عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**»(٣)، والتسخط بجميع أنواعه حرام لا يجوز.

المقام الثاني: الصبر، وهو واجب، لأنه إن لم يصبر فإنه سيقع في السخط، وهو حرام، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ارْجِعْ،**

---

(١) انظر: فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين، شريط رقم (٣١٨).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/٣٤٩)، فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين، شريط رقم (٣١٨).

(٣) متفق عليه.

فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لله مَا أَخَذَ ولَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»[١].

المقام الثالث: الرضا، وهو أن يرضى العبد بما قدره عليه ربه رضاً تاماً، وهذا المقام ليس بواجب، بل سنة؛ لأنه متضمن للصبر وزيادة، والفرق بين الصبر والرضا: أن المرء يكون في الصبر كارهاً لما وقع، لا يحب أنه وقع، لكنه قد حبس نفسه عن التسخط؛ وأما الراضي فهو غير كاره لما وقع، بل المصيبة وعدمها عنده سواء؛ لأنه راضٍ رضاً تاماً عن فعل الله، فهو يقول: أنا عبده وهو ربي، إن فعل بي ما يسرني فأنا عبده وله مني الشكر، وإن فعل بي ما لا يسرني فأنا عبده وله مني الرضا والصبر.

المقام الرابع: الشكر، أن يشكر العبد ربه على هذا الابتلاء، بأن يقول بلسانه وحاله الحمد لله، ويرى أنّ هذه المصيبة نعمة، وهذا المقام لا يكون إلا لمن وفقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **" وَمقَامُ الشُّكْرِ جَامعٌ لجَميعِ مقَامَات الْإِيمَان، ولِذَلكَ كَانَ أَرفَعهَا وأَعْلَاهَا، وهُو فَوقَ الرضا وهو يتضَمَّن الصَّبْرَ من غَيْرِ عكْس، ويَتَضَمَّن التَّوكُّل والْإِنَابَة والْحُبَّ والْإِخْبَات والْخُشُوع والرَّجَاء فجميع الْمقَامَات مندَرجَةٌ فيه، لَا يستحقُّ صاحبه اسْمَهُ علَى الْإِطْلَاق إلا باستجماع الْمقَامَات لَه، ولهَذَا كَانَ الْإِيمَانُ نصْفَيْن: نصْفُ صَبْر، ونصْفُ شُكْر، والصَّبْرُ داخلٌ في الشُّكْر، فَرَجعَ الْإِيمَانُ كُلُّه شُكْرًا، والشَّاكرُونَ هم أَقَلُّ الْعباد، كَمَا قَالَ تعَالَى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ "**[٢].

وسئل ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشكر عند المصيبة هل هو واجب؟

فأجاب: **"الواجب الصبر؛ أما الرضا والشكر فهما مستحبان، وعند المصيبة ثلاثة أمور: الصبر وهو واجب، والرضا سنة، والشكر أفضل"**[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) مدارج السالكين (١/١٥٧).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (١٣/٤١٣).

الخاتمة

إلى كل مبتلى وإلى كل مصاب: اصبروا وأبشروا، إن صبركم على البلاء لا يعلم جزاءه إلا رب الأرض والسماء، قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:١٠].

وقد وعدك الله أيها المبتلى الصابر بأن يصلي عليك، وبأن يرحمك، وبأن يهديك، فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ*الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ*أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

فضل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عليك عظيم أيها المبتلى الصابر، يا من حبسك المرض على السرير، يا من حبسك البلاء، أياً كان هذا البلاء، اصبروا وأبشروا، واعلموا أن الحياة الحقيقية هي حياة القلوب، واعلموا أن الحياة الحقيقية هي: ألا يغفل لسانكم عن ذكر علام الغيوب.

وأبشروا بموعود الله وبموعود رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «**عَجباً لأَمْرِ الْمُؤمِن، إنَّ أَمْرَه كُلَّه خَيرٌ، ولَيس ذاكَ لأَحدٍ إلا للْمُؤْمِن، إنْ أَصابَتْه سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيراً لَه، وإنْ أَصابَته ضَرَّاءُ صَبَر فكَانَ خيرًا لَهُ**»(١).

فالبلاء رحمة، إن صبرت عليه يكفر الله به عنك الخطايا.

وأذكر كل مبتلى بحديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، فعن أَنَس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «**لَا يتمَنَّيَنَّ أَحدُكم الْمَوْتَ لضُرٍّ نَزَلَ بِه، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيا فَلْيَقُل: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَت الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وتَوفَّنِي إِذَا كَانَتَ الْوَفَاةُ خيراً لِي**»(٢).

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٩٩).

(٢) متفق عليه.

وأختم بكلمات لشَدَّاد بن أَوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ يقول: **"يا أَيُّها النَّاس لَا تَتَّهموا اللَّه في قَضَائه، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَبْغي عَلَى مُؤْمن فَإذَا نَزَلَ بِأَحَدكُمْ شَيْءٌ ممَّا يُحبُّ فَلْيَحْمَد اللَّهَ، وإِذَا نَزَلَ بِهِ شَيْءٌ يَكْرَهُ فَلْيَصْبِرْ وَلْيَحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ حُسنُ الثَّوَاب"**(١).

أسأل الله لكل من ابتلاهم الله جلا وعلا بالأمراض والبلاء، أن يجعل شفاءهم سهلاً ميسوراً، وأن ينزل عليهم رحمة عاجلة من عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٨٤٤).